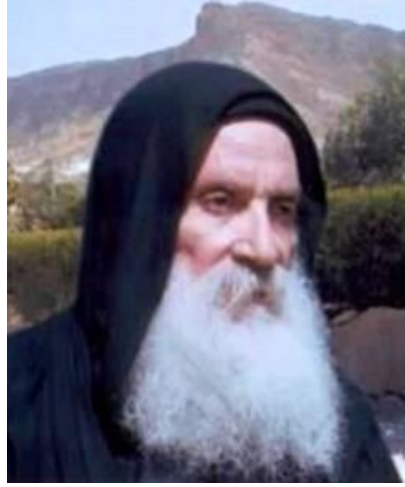


دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

ألقاب المسيح

ماهية المسيح

لاهوت المسيح الذي حدّد مصير الإنسان



الأب متى المسكين

ماهية المسيح⁽¹⁾

المسيح لا يُعرف في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلا بالنسبة لله. وما صار إليه بالتجسد في علاقته بالإنسان.

والآية الرائدة التي اتخذها كل الآباء القديسين واللاهوتيين عموماً، هي آية سفر العبرانيين التي أوحى بها الله لكاتب⁽²⁾ سفر العبرانيين ليبتدئ بها سفره الثمين الذي يدور بأكمله حول شخص يسوع المسيح. وقد عرّفه في هذه الآية تعريفاً في غاية الدقة بالنسبة لله، سواء من جهة طبيعته أو شخصه هكذا:

+ «الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمّل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل

(1) الماهية هي كلمة تعبر عن مَنْ هو الشخص من جهة شخصه وطبيعته. على أن الماهية في اللاهوت غير الماهية في الأشياء: الماهية في اللاهوت مستمدة من كلمة "هو"، و"هو" في اللاهوت لا تعبر عن الغائب، ولكن تعبر عن الكائن بذاته وهو الله. ونجدها بوضوح في قول المسيح: «أنا هو».

(2) وهو بولس الرسول بحسب تقليد الكنيسة الأرثوذكسية.

الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم.» (عب 1:1-4)

وهكذا لكي يدخل الوحي إلى التعريف بماهية المسيح، بدأ أولاً بالأنبياء ليتجاوزهم شأنًا وزماناً، إذ حصرهم جميعاً في العهد القديم الذي انتهى سنة 400 ق.م، ثم بالنهاية نجده يتجاوز الملائكة أيضاً باعتباره أعظم منهم جميعاً، وهو بحال تجسده؛ إذ لما قام من الموت بجسده، وقد ظفر بالشيطان وكل رئاساته، حاز خلاصاً من الخطية والموت لكل بني البشر، وارتفع فوق أعلى السموات باقتدار عظيم:

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء...» (أف 1:20-22)

وبهذا الانتصار الفريد فوق الموت كأعظم عدو، والظفر بالشيطان باعتباره مَنْ له سلطان الموت!! وارتفاعه السامق فوق هامات الملائكة كأقدس خلائق الله؛ ورث اسماً أعظم منهم إذ تعيّن أنه هو ابن الله الذي تجسد! ثم بعد أن ظهر وعُرف واستعلن وتعيّن أنه هو ابن الله، بدأ الوحي يصف المسيح في علاقته بالله ذاته.

«الذي هو بهاء مجده»: Öj ín øpaÚgasma tÁj dÒxhj aÙtoà

وهذا الوصف تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بطريقتين:

الأولى: وهي بحسب النص اليوناني حرفياً:

who being (the) **Radiance** of the Glory of God.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

He **reflects** the Glory of God.

وبهذا نفهم صفة المسيح طبيعياً بالنسبة للآب هكذا: أن المسيح هو إشعاع يعكس بطبيعته مجد الله. وهذا الوصف قائم أساساً على علاقة طبيعة المسيح بطبيعة الله على أن طبيعة الله هي مجده، ومجده هو نور. وهذا هو ما اصطاح عليه الآباء القديسون الأوائل بمقولة لاهوتية صارت جزءاً لا يتجزأ من إيماننا، أن المسيح هو "نور من نور".

فإن كان «الله هو نور لا يُدنى منه»، فالمسيح كابن الله هو كما قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم» وكما شهد له القديس يوحنا واصفاً طبيعة المسيح: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو 9:1). ثم يعود القديس يوحنا ويصفه هكذا: «وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة.» (يو 3:19)

«ورسم جوهره»: carakt³r tÁj Øpost£sewj aÙtoà

وقد ترجمتها اللغة الإنجليزية بطريقتين:

الأولى: حرفية:

The **representation** of the reality of him.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

bears the very **stamp**, of his nature.

وهكذا يمكن ترجمتها إلى اللغة العربية هكذا:

أ. المسيح هو الممثل لشخص الله.

ب. المسيح حامل لذات الطبيعة أو الصورة لشخص الله.

فإن قال الله في العهد القديم عن شخصه: «أنا هو الأول والآخر» (إش 6:44؛ 12:48)؛ فالمسيح قالها عن شخصه بتأكيد: «أنا هو الأول والآخر... الألف والياء، البداية والنهاية» (رؤ 17:1 و8). بمعنى أن الله في ذاته يحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء ولا حتى الفكر، فهكذا هو المسيح بالمثل. وقد أكد المسيح مراراً هذه الحقيقة أنه حامل لذات صورة شخص الله: «الذي رأي فقد رأى الآب» (يو 9:14)، ولكي يحسم وحدانية الآب والابن ويحرم أي فكر من أن يفكر في ثنائية الآب والابن، قالها واضحة أشد الوضوح وبتأكيد: «أنا والآب واحد» (يو 10:30)؛ بمعنى أن الآب والابن - بالرغم أن الآب هو دائماً أب، والابن هو دائماً ابن في الواقع المطلق - إلا أنهما ذات واحدة، وكيان واحد، وهذا أوضحه بقوله: «أنا في الآب، والآب فيَّ.» (يو 10:14)

وخلاصة هذه المعلومة الإنجيلية القائلة بأن المسيح هو «رسم جوهره» ومن واقع التعريف والشرح الذي أوضحناه، ندرك ما قاله الآباء القديسون بمقولتهم اللاهوتية التي دخلت في قانون الإيمان القويم: إن المسيح «إله حق من إله حق».

فمن جهة طبيعة المسيح بالنسبة لطبيعة الله الآب: هو «نور من نور».

ومن جهة شخص المسيح بالنسبة لشخص الله الآب: هو «إله حق من إله حق».

ولعل وصف الله لذاته - عندما طلب منه موسى: «فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى أعرفك...» (خر 13:33) - يُعتبر أول استعلان لطبيعة الله وشخصه، إذ قال لموسى: + «فنزل الرب في السحاب. فوقف (موسى) عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية...» (خر 5:34-7)

أما سمو بهاء الله - إشعاع طبيعة مجده - الذي احتواه المسيح إذ: «فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو 9:2)، وكذلك حقيقة رسم جوهر الله - صورة شخص الله - الذي حمّله: «الذي رأي فقد رأى الآب» (يو 9:14)؛ فهذه وتلك فوق إدراكنا وأعلى وأعمق من أن يفحصها أحد. ولكن المسيح على مدى ثلاث سنوات ونصف، عمل وعلم وأتى من المعجزات والآيات - هذه التي سجّلتها الأناجيل الأربعة بكل دقة وباستعلان الروح القدس - إن توفّرنا على الالتصاق بها بالروح والقلب، نستطيع أن نأخذ منها ما يكفي ليرسِّخ في أعماق روحنا وإيماننا لنشهد ونعترف أن المسيح حقاً هو بهاء مجد الله، أي يمثل لنا حقاً طبيعة الله، وأنه حامل لجوهر الله أي صورة صادقة لشخص الله.

والمسيح كان يعلن عن طبيعته وشخصه في كل ما قال وعلم وعمل، وليس فقط بهذه؛ بل وبالأكثر في الصليب والقيامة المجيدة، مستعلنًا لنا قوة وعظمة ونعمة الله التي كان يحيها كنموذج حي لله لكي يسلمها لنا بالسر. لذلك يتحتم لنا أن نعلن أن كل ماهية المسيح التي استعلنها لنا بالإنجيل، كان يقصد بها قصداً أن يسلمها لنا لنكون فيها شركاء معه⁽³⁾، حسب مسرة الله الآب الذي أرسله لهذا عينه. لأنه إن كان قصد الله حينما صوّر طبيعته وشخصه لموسى، هو أن يستمد موسى من هذه الطبيعة وهذه الصفات التي طرحها

(3) نحن نصير «شركاء المسيح» (عب 14:3)، و«شركاء الطبيعة الإلهية» (2بط 1:4)، ليس بمعنى أن تتغيّر طبيعتنا إلى طبيعة الله؛ بل بمعنى أنه يحل هو فينا بحسب قوله: «أنتم فيّ، وأنا فيكم» (يو 14:20)، فيهبنا شركة في صفاته الخاصة.

كحقيقة حيّة فعّالة في فهمه وروحه ووجدانه - يستمد قوة ونعمة وإرشاداً وهداية يعبر بها أهوال غربته التي طالت بطول حياته. فكذلك وبنفس القصد والقوة، طرح الله لنا نفس طبيعته وصفاته، ليس شفاهاً بالكلمة وحسب كما كان لموسى؛ بل استودعها كاملة في شخص ابنه لما تجسّد، لكي نستلمها منه بالنعمة وبالسر، نستلمها كاملة أيضاً وغير منقوصة لنعبر بها، ليس على مدى غربتنا على أرض الشقاء فحسب، بل ولتكون هي بعينها سمة حياتنا الجديدة المؤهّلة للشركة مع الله في ابنه المحبوب لحياة الأبد، في ملء طبيعته وصفاته، كقول بولس الرسول العجيب: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله.» (أف 19:3)

ولنا في ذلك شهادة من المسيح تعتبر ذات قوة وذات دفع: «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سمّيتكم أحبباء لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو 15:14 و15). ثم أيضاً هذه الشهادة ذات المضمون الإعلاني الفريد الذي بلغنا به ملء الحياة الأبدية بمعرفة طبيعة الله في المسيح، وشخص الله في المسيح:

+ «مجدّ ابنك ليمجدّك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليُعطي حياة أبدية لكل مَنْ أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو 3-1:17)

وهكذا إذ عرفنا الله والمسيح معرفة الشركة في ذات الطبيعة والشخص، نلنا ملء الحياة الأبدية. والقديس يوحنا يشهد ويعترف بلساننا:

+ «ورأينا مجده مجدداً كما لوحد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً.» (يو 1:14)،

+ «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة.» (يو 1:16)،

+ «وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (يو 1:2-4)

(يونيه 1993)

في لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان!!

إن كان العهد الجديد بكل أسفاره يكاد لا يعطي المسيح اسم "الله" QeÒz مباشرة حتى نقول إن المسيح الله، فذلك لضرورة حتمية؛ لأن المسيح هو "ابن الله"، والابن لا يمكن أن يكون "الله" إلا مع الآب.

غير أن المسيح لكي يعرّف أو يستعلن نفسه أنه الله QeÒz مع الآب فعلاً قال صراحة: «أنا والآب واحد» (يو 10:30)، و «أنا في الآب، والآب فيّ» (يو 14:10). هذا معناه أنه لا يمكن أن يوجد الابن وحده أو الآب وحده. بمعنى أنه إذا ذُكر الابن، يكون معه الآب حتماً ودائماً. لذلك أصبح من المفهوم الضمني أن يقال إن الابن، أي المسيح، هو الله باعتباره قائماً دائماً في الآب لأنه لا يمكن أن يوجد المسيح وحده «وتتركوني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي.» (يو 16:32)

أ - وحينما أعلن المسيح نفسه أنه "ابن الله"، أدرك معانوه - وهم الكتبة والفريسيون لاهوتيو العهد القديم - أنه بذلك يعتبر نفسه إلهاً مباشرة، هكذا: «وأنا أعطيتها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي؛ أبي الذي أعطاني إياها - هو أعظم من الكل - ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والآب واحدا!» (يو 10:28-30). فكان رد اليهود أن طلبوا أن يرحموا قائلين: «فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً» (يو 10:33)، وطبعاً لأنه قال: «أنا والآب واحد» والمسيح بالفعل هو كذلك، لأنه هو والآب واحد. فهو لم يجعل نفسه إلهاً؛ بل وهو الإله جعل نفسه إنساناً - هذه هي الحقيقة التي فاتت عليهم - وذلك لكي يعلن لهم الله في نفسه ظاهراً مسموعاً: «الذي رأني فقد رأى الآب.» (يو 14:9)

فالمسيح تحاشى أن يقول مباشرة إنه إله أو هو الله، ولكنه قالها وأكّدها وصمّم عليها عندما قال: «أنا والآب واحد» فإن كان الآب هو الله حقاً، فالمسيح يكون بالضرورة هو الله بالحقيقة، ولكن لكي نتحاشى الازدواجية في الألوهة، نقول إن الله الواحد هو الآب والابن. على أنه لا يمكن أن يكون الآب وحده هو الله، ولا الابن وحده هو الله. بل إن الابن والآب هو الله الواحد. وكلمة واحد هنا ليست رقمية ولا تمتُّ للأعداد المادية القياسية بصلة؛ بل "الواحد" بالروح. فالله روح واحد: أب وابن. لذلك نقول إن الله أب وابن وروح، أو على سبيل الإيضاح نقول إن الله روح هو، أب وابن.

ب - على أن الآب والابن ليسا ذاتين؛ بل ذات واحدة، فيها الأبوة وفيها البنوة. حيث من الأبوة الإلهية في الله صدرت كل أبوة في الوجود (أف 3:15)، ومن البنوة الإلهية في الله صدرت كل بنوة في الوجود. فالله مصدر كل أبوة وكل بنوة في الوجود. وكل أبوة وكل بنوة في الوجود تستمد كيائها وفعلها ودوامها من الله، ومعلوم أن الحياة والوجود في العالم يقومان بقيام الأبوة والبنوة، فلو توقفت الأبوة في الحياة والعالم تلاشت الحياة وتوقف العالم، كذلك البنوة إن توقفت توقفت الحياة وانتهى العالم. إذاً فالأبوة والبنوة الإلهية الثابتة والدائمة في الله هي مصدر وقيام ودوام الحياة واستمرارها في العالم والوجود. وبالتالي لا يمكن بل ويستحيل أن يكون في الله أبوة وحسب، أو بنوة وحسب، أو أن يكون الله بلا أبوة وبنوة وإلا ما كانت حياة ولا وجود لحي.

ج - وفي الذات الإلهية - كما يقرر مجمع نيقية المقدس - لا يصح أن يُنظر أو يُقال أيهما أسبق: الأب أو الابن، لأن الذات الإلهية هي وجود وكيان مطلق منزّه عن الزمن، فلا سابق ولا لاحق. فالأب والابن هما كيان الذات الإلهية الواحد، وهو كيان أزلي. فالأب أزلي هو، والابن أزلي بالضرورة.

والأب مساوٍ للابن، والابن مساوٍ للأب، لأنهما جوهر واحد وذات واحدة. الأب يكمل الابن بأبوته، والابن يكمل الأب ببوته. فالتساوي حتمي هو، حيث يتوجب التطابق المطلق بحكم الذات الواحدة. لذلك نقول بوحداية الله المطلقة، فالله واحد مطلق، ولا تمايز بين الأب والابن إلا في الأبوة كصفة الله الذاتية والبنوة كصفة الله الذاتية أيضاً. وهما واحد أحد، لأن الأب يحب الابن حباً مطلقاً بأن يعطيه كل ما له، والابن يحب الأب حباً مطلقاً بأن يعطيه كل ما له⁽⁴⁾. فبالحب الإلهي المطلق توحدت ذات الله. فالله واحد هو لا من منطلق الأعداد؛ بل من منطلق الحب الكلي المطلق الذي يأسر الفكر والقلب، لأن وحداية الله هي فاعلية حبه الكلي الذي به خلق وأبدع فتغلغل حبه في كل ما خلق وكل ما أبدع، ولحبه القاهر تتعبد له الخليقة وتخضع.

د - والمسيح كان شديد الحساسية، شديد اليقين بمساواته للأب، لأنه هو الابن الوحيد المحبوب المتجسد، فمن يقين إحساسه بحب الأب المطلق (يو 3:35؛ 20:5)، ومن يقين حبه هو للأب حباً مطلقاً (يو 31:14)، كان يرى المساواة حقيقة يحياها ويكرز بها، ويمارس عمل الفداء الذي أعطاه أبوه بخضوع فاق خضوع العبد، لأنه كان خضوعاً لا يشوبه قصور أو ضعف؛ بل خضوعاً مطلقاً أيضاً تمليه عليه طاعة قلب الابن ويحرسه ضمير الحب البنوي، فجاء البذل حسب مشيئة الأب وإرادته تماماً.

هـ - أما إذا سألت كيف يكون في الذات الواحدة الأبوة والبنوة معاً، فعليك أن تفحص الذات البشرية. فكل إنسان فيه الأبوة وفيه البنوة معاً، ولكن في الإنسان تخرج البنوة من الرجل بالزواج، أي بأن تأخذ البنوة التي في كيان الإنسان جسداً من امرأة فيظهر للإنسان ابنٌ، هو ابنه الذي كان في كيانه مخفياً وخرج إلى الوجود بالزيجة وحصوله على جسد من زوجة. أما في الذات الإلهية المنزّهة عن الزيجة، فابن الله الذي في كيان الذات الإلهية مخفيٌ خرج إلى الوجود البشري بأن تجسد، أي أخذ جسداً من عذراء بالروح القدس بدون زيجة، فظهر في الوجود "كإبن الإنسان" لأنه مولود من امرأة، ولكنه هو في حقيقته ابن الله، باقٍ كما هو ولكن مولوداً من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم. خرج إلى الوجود البشري وهو كما هو كائن في الذات الإلهية مع أبيه (يو 18:1)، وذلك بحسب مشيئة الأب أن يخرج ابنه «من عند الله خرجت» (يو 27:16)، ليعلن في ذاته عن حقيقة الله الأب والابن. فلولا التجسد ما عرفنا الذات الإلهية أنها أب وابن وروح قدس.

ولكن ابن الله وإن كان قد وُلد من العذراء ومن الروح القدس، إلا أنه لم يولد من الأب قط بالمفهوم الزمني لأن الله الأب روحٌ هو، وهو منزّه عن الولادة والحدث الزمني، لأن الميلاد كفعل زمني يتم على مستوى الجسد والزمن؛ ولكن يستحيل استحالة قاطعة أن يكون في الله، وعلى مستوى الروح والأزل، فعل ولودة زمنية .

وهذه الحقيقة الهامة هي ما أراد القديس أثناسيوس الرسولي أن يُعبّر عنها بقوله: إن "الابن" مولود قبل كل الدهور. فهنا قصد القديس أثناسيوس بقوله: **قبل كل الدهور "ما هو ليس زمنياً"**، أي قبل أن يوجد زمن، أي في الأزل. وذلك لينفي عن الله الفعل والحدث الزمني للولادة، لأن في الأزلية وقبل الدهور والزمن لم يكن

(4) من هنا كانت حتمية الأبوة والبنوة في الله حتى تتكامل الذات الإلهية بالكمال المطلق بأن يكون الله محباً حباً كلياً، وهذه صفة الأبوة؛ وأن يكون الله محبوباً حباً كلياً، وهذه صفة البنوة. وبهذا يصير الله في ذاته محباً ومحبوياً على وجه الإطلاق، وهذا منتهى كمال الذات.

فعل ولا حدث وبالتالي لم يكن فعل ولادة. لذلك يقول القديس أثناسيوس بمنتهى الوضوح إنه **“مولود” كحال** وليس كفعل أو حدث، أي لم يُقَلَّ **وُلِدَ** كفعل ماضٍ، الأمر الذي يستلزم وجود الزمن؛ بل قال مولوداً، أي كحال وجودي. فالابن في الأزل كان مولوداً لا من **فعل تمّ**؛ بل **كحال قائم**، أي أن الابن كان مولوداً في الأب في الأزل دون ولادة، أي كان كأنناً موجوداً بوجود الأب.

لذلك يضيف القديس أثناسيوس توضيحاً لذلك: أن ليس في الأب والابن متقدّم أو متأخر، ليس سابقاً أو لاحقاً، أي أن وجود الأب لم يسبق وجود الابن ولا الابن كان وجوده لاحقاً لوجود الأب، وإلا دخل الزمن في طبيعة الله، وهذا محال. فالأب والابن وجودهما واحد ومتلازم منذ الأزل.

وهكذا قال القديس أثناسيوس مقولته اللاهوتية التي أخذ بها مجمع نيقية وصارت قانوناً للإيمان المسيحي: إن الابن **“مولود قبل كل الدهور”**، وهذا يعني أن **الابن قائم في الأب قبل الزمن**، أي منذ الأزل. وهذا بحد ذاته ينفي عن الله **“فعل”** الولادة الذي حير غير المسيحيين، بل والمسيحيين أيضاً، دون أي داعٍ لذلك.

وللقديس أثناسيوس قول واضح يوضّح فيه هذه الحقيقة:

[الأبناء المولودون للناس هم مقتطعون من آبائهم، لأن طبيعة الأجساد ليست عديمة التركيب (أي ليست بسيطة بل قابلة للانقسام)، لذلك فهي في حالة تتابع (أبناء ثم آباء ثم أبناء... وهكذا). وهي بذاتها، أي الأجساد مكونة من أجزاء، ومعروف أنه بقدر ما يفقد الإنسان من جسمه في التوليد (ذكراً كان أو أنثى)، يعود ويكتسبها بتناول الطعام. وبسبب هذه الحقيقة فإن الناس يصيرون في زمانهم آباءً لأبناءً كثيرين، ولكن الله لأن طبيعته غير مركّبة، وبالتالي بلا أجزاء، فهو أب للابن - الذي له - دون انقسام أو آلام. لأنه لا يوجد استنزاف من الداخل للخارج «porro» (أي ولودة) في الطبيعة اللامادية - وفي نفس الوقت - هي غير مستهدفة للإضافة عليها من الخارج كما هو الحال في الإنسان. ولأن طبيعة الله غير مركّبة - أي بسيطة - فالله أب لابن واحد وحيد.

لهذا يُقال للابن إنه مولود وحيد «monogen» والوحيد القائم في حضن أبيه، والوحيد الذي يُقرُّ الأب أنه منه قائلاً: **«هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (مت 17:3)**. وهو بآنٍ واحد كلمة الأب، الأمر الذي منه ندرك عدم تألم وعدم تجزئة طبيعة الأب. لأنه إذا كانت كلمة الإنسان نفسها يلدها الإنسان بلا ألم أو تجزئة، فكم بالأحرى كلمة الله.]

القديس أثناسيوس الرسولي - شرح قانون مجمع نيقية 11(5).

الروح والأزل منزّهان عن الزمن وعن الأحداث والأفعال، وهذه هي طبيعة الله الفائقة غير المستهدفة للأفعال والأحداث الزمنية. فالمسيح هو ابن الله القائم الدائم في الذات الإلهية كابن مع الأب كائن فيه منذ البدء، منذ الأزل، خرج بمشيئة الأب إلى الوجود الزمني البشري بأن اتخذ له جسداً من عذراء، أي جسداً عذرياً بدون رجل فظل قدوساً بعد ولادته **«فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله» (لو 1:35)**. وهكذا اتحد بالبشرية عن إرادة لما أخذ جسداً منها، ولما وُلِدَ صار نائباً عن الله كابن الله في جسد إنسان، ذلك في المحيط البشري يُعلن عن الأب لأنه هو والأب واحد بالتساوي المطلق، ويُظهِر حقيقة الأب غير المنظور **«الذي رأني فقد رأى الأب» (يو 9:14)**، ويعمل كل مشيئة الله من جهة خلاص الإنسان من عَرَض الخطية وعَرَض الموت الذي أصاب الإنسان نتيجة عصيانه لله، فحمل خطية الإنسان في الجسد ومات بالجسد

(5) ويشترك عدد من الآباء مع القديس أثناسيوس في هذه الفكرة، أي أن لقب **“الكلمة”** يُخرج بنوة المسيح تماماً عن مفهوم الولادة المادية (انظر القديس كيرلس الكبير - الكنز في الثالث 5؛ والقديس يوحنا ذهبي الفم في شرح إنجيل يوحنا 2 فقرة 4؛ والقديس غريغوريوس النيسي ضد أونوميوس - الكتاب الثالث ص 107).

ليخلص الجسد، أي البشرية، من الخطية وعقوبة الموت. وقام بعد أن مات، فأقام الجسد - أي جسد الإنسان - بالروح ليحيا حياة ثانية جديدة بالروح منزّهة عن الخطية والموت، ليحيا الإنسان مع الله كما كان في شخص آدم قبل السقوط، ولكن دون احتمال سقوط مرةً أخرى أو عصيان أو موت، في حياة أبدية مع الله، متحداً بجسد المسيح ليتراءى الإنسان الجديد أمام الله الأب في المسيح كابن مع الابن.

و - أنا هو، ومعناها "أنا الكائن بذاتي، أو أنا الكينونة" (6).

هذا اللقب على فم المسيح يُعتبر لقباً استعلائياً، فهو يلفت النظر إلى أن المتكلم هو نفس المتكلم في أسفار العهد القديم «أنا هو الرب» «أنا هو الرب الإله»

وقد اختصّ إنجيل يوحنا بهذا اللقب، لأن إنجيل يوحنا يُعتبر إنجيلاً استعلائياً، وقد ورد فيه هذا اللقب 29 مرة، في حين لم يزد وروده في الأناجيل الثلاثة الأخرى عن أربع مرات! أما وروده في أسفار العهد القديم، فقد ورد 106 مرات بالنص الحرفي «أنا هو». ويزيد إنجيل يوحنا في جعل هذا اللقب استعلائياً بالدرجة الأولى بأن سجّله كاسم شخصي للمسيح في بعض المواضع تماماً، كما جاء في العهد القديم لاستعلان شخص الله المتكلم، ولكن الملفت للنظر جداً أنه يؤكد أن اسم الأب «أنا هو» قد أُعطي للمسيح ليكون اسم المسيح «أنا هو» أيضاً، ممثلاً الأب أقوى وأدق تمثيل حيث نسمع المسيح في إنجيل يوحنا الأصحاح 17 يُخاطب الأب هكذا: «أيها الأب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني» (يو 11:17). وهذا مطابق للحقيقة التي أبرزها سفر الخروج 20:23 و21 «... ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، لأن اسمي فيه» وهنا نُوعِّي القارئ لعدم الدقة الذي جاء في الترجمة العربية، إذ جعلت الآية «احفظهم في اسمك الذين أعطيتني» وهذا مخالف للنص اليوناني. وأيضاً «كنت أحفظهم في اسمك الذي (7) أعطيتني» (يو 12:17)؛ موضّحاً أن المسيح هو "الله متكلماً" أو هو "كلمة الله"، و"رسالة الله الشخصية"، فحين يتكلم المسيح فالله هو المتكلم. ولكي يتحقق القارئ من هذا نعطي مثلاً لذلك:

| العهد القديم "الله" (8) | العهد الجديد "المسيح" |
|---|---|
| «فيعرف المصريون أنني أنا هو حين أتمجد.» (خر 18:14) | «فمتى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون» «أني أنا هو.» (يو 8:28) |
| «لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا» «أني أنا هو.» (إش 10:43) | «لأنكم إن لم تؤمنوا» «إني أنا هو» «تموتون في خطاياكم» (يو 8:24) |
| «أنا أرفع غنمي وأربضها يقول السيد الرب... فيعلمون أنني أنا هو الرب.» (حز 15:34 و30) | «أنا هو» الراعي الصالح، وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني.» (يو 14:10) |
| «اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر.» (إش 12:48) | «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء.» (رؤ 8:1) |
| «أنا هو الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله.» (إر 10:17) | «فستعرف جميع الكنائس» «إني أنا هو» الفاحص القلوب، وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله.» (رؤ 2:23) |

(6) راجع: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ص 218-246.

(7) الترجمة الصحيحة عن اليونانية «الذي» وليس «الذين».

(8) راجع القائمة الكاملة في كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ص 244 - 246.

واضح هنا أن اسم الله في القديم كان "أنا هو" $TMgè e,mi$ ، كما هو واضح أن الله أعطى اسمه هذا للمسيح "الابن" «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه» (تث 19:18)، «لأن اسمي فيه.» (خر 20:23 و21)

ولكن ما معنى أن يحمل المسيح اسم الآب؟

المسيح يرد على ذلك ردًا واضحاً مقنعاً شارحاً ذلك: «أنا قد أتيت باسم أبي، ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه، فذلك تقبلونه» (يو 43:5)، «الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي» (يو 10:25). وعلى القارئ الباحث أن يلتفت إلى أن اسم "أنا هو" الذي كان ينطق به المسيح ليعبر عن اللاهوت الذي فيه، يأتي بالعربية ناقص الفعل في قوله "أنا هو". فحينما يقول «أنا هو الراعي الصالح» فأصلها في اليوناني "أنا أكون الراعي الصالح" أو "أنا الكائن بذاتي الراعي الصالح". فالضمير في العربي "هو" في "أنا هو"، يأتي في اليونانية فعلاً "أكون" $TMgè e,mi$ ، وليس ضميراً. لذلك اختفى الاسم الإلهي الذي للمسيح «أنا هو أكون» في كل الترجمة العربية للأسف.

فالمسيح عند قوله «أنا هو الراعي الصالح» يعلن أولاً لاهوته بذكر اسم الألوهة كاملاً $TMgè e,mi$ "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الكائن"، ثم يعلن ما صار إليه - الراعي - وتُفهم هكذا "أنا الكائن بذاتي صرت راعياً"، وهو المعنى الحرفي في اليونانية لقوله «أنا هو الراعي» وهكذا كل ما نطق المسيح بذكره "أنا هو"، فهو باليونانية "أنا الكائن" $TMgè e,mi$.

من هنا تتجلي أمام أعيننا قوة التعبير الإلهي في وصف المسيح لنفسه أنه الكائن بذاته الأزلي، وهو بذلك ليس راعياً لخراف حيوانية خرساء؛ بل راعياً صالحاً «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (مر 18:10)، بمعنى "راعياً إلهياً" لحياة الخراف الناطقة. لذلك يقول أيضاً «أنا الكرمة الحقيقية» وترجمتها العربية الصحيحة: «أنا هو الكرمة الحقيقية» حيث «الحقيقية» هنا ترفع عن الكرمة كيائها المنظور المادي وصلتها بالأرض، لأن الحقيقي هو السمائي والأزلي، وهو غير الظاهري المادي الفاني والزائل. فصفة الحقيقية للكرمة يقابلها في الضمير "أنا" بوضعه الأزلي = "أنا هو" أو "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الله صرت كرمة حقيقية بتجسدي، وأنتم في من لحمي وعظامي" (أف 30:5).

لذلك ننبه القارئ لاسم "أنا هو"، فهو يعطي للإنجيل كله فهماً جديداً فائقاً متعالياً يليق بالمسيح الذي يقول «أنا والآب واحد» فأنا هو $TMgè e,mi$ "اسم واحد" لجوهر الآب والابن، وهو اسم الألوهة ببيان ووضوح وتأكيد مفرح.

(أغسطس 1993)

منقول وتم ترتيبه

أرجوا ان تكون هذه الخدمة سبب بركة لكل من يقرأها

صفوت زكي سمعان